

الفصل الثانى والسئون

ذكر أقاليم مصر فى ضوء علم النجوم والهيئة والاسطرلاب ومساحة البلاد وطول نهارها وطالعتها والمسافة بالميل بين السماء والأرض ومساحة العالم بالميل

تَفَكَّرَ الحكماءُ القدامى فى آلاء الله وكتبوا عن أحوال العالم، فقد قيل «تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذات الله» لذا تفكروا فى آلائه - سبحانه وتعالى - ووقفوا على جميع أسرار الكون بقوة العلم وطول العمر؛ فقالوا: إن المسافة بين الأرض والسماء ٣٥٦ ميلا وبناء على هذا الحساب فإن محيط الدنيا ٢٠١٦٠ ميلا تقع فى البحر المحيط، وتقع جزيرة مصر داخل هذه الدنيا. وطول قطر هذه الدنيا من الشمال إلى الجنوب ٦٤٠٠ ميل.

يقول ابن الوردي فى صفحته: إن بطليموس الحكيم قَدَّرَ محيط الأرض بـ ٢٠١٦٠ ميلاً (أى ٨٠٠٠ فرسخ)، والميل يساوى ٣٠٠٠ ذراع مكى والذراع المكى ٣ أشبار، وكل شبر ١٢ إصبعًا وطول كل إصبع يساوى ٥ حبات شعير ونحن نقدرها بـ ٧٦٣٦ ميلا (أى ٢٥٤٥ فرسخا) وثلاث، والمساحة الكلية لسطح الأرض ١٣٢ ألف ألف ميل و ٦١٠ ألف و ٢٨٨ فرسخا.

وهذه الأقوال المذكورة هى أقوال صحيحة لبقرات وسقراط وفليقوس وبطليموس وهم الذين أحاطوا بمعجائب العلوم وغرائبها، وملكوا ناصية شتى العلوم والفنون وكتبوا ما كتبوا بقوة العلم دون أن يتجولوا فى الأرض من أقصاها إلى أقصاها، ودون أن يكون علمهم عنها علم اليقين، وقالوا: إن محيط العالم ٢٠١٦٠ وكان ذلك بناء على أعمال عبقرتهم.

ولفظ «فتحتا» فتاريخ سنة ٨٨٩ حينما ضرب السلطان بايزيد ولى^(١) الحصار على قلعة «كرمان» قدم عليه راهبان التقيا به وبـ «قره شمس الدين السيواسى» ورفا إليه البشرى بأنها ستفتح فى يوم كذا وساعة كذا ودقيقة كذا. وهذان الراهبان أحدهما كان

(١) هو السلطان بايزيد الثانى العثمانى، اشتهر بلقب ولى بسبب تصوفه.

يسمى «بادره» والآخر «بطريق قولون»، وقولون هذا من أهل البرتغال أما بادره فمن أهل أسبانيا وقد عين لهما السلطان با يزيد خدما وشاء الله أن تفتح قلعة «كرمان» في نفس اللحظة التي عينها هذان الراهبان وجاءت البشرى بتسلم مفاتيحها. هذا ما وقع فعلا. وتاريخ فتح هذه القلعة كان لفظ «فتحنا» ومن بعد كرم هذان الراهبان بما لا مزيد عليه من تكريم. ثم سُئل هذان الراهبان كيف عرفا من سيفتح هذه القلعة فأجابا:

أنهما عرفا ذلك بفضل من علم الرهبان والعلماء النصارى، وقالوا: لنا أكثر من بشارة تنفها إلى مولانا السلطان. إن ابنك سليم والى طرابزون سوف يكون له ملك مصر، كما سيكون له ملك مكة والمدينة، وسيملك ابنه سليمان «التفاحة الحمراء»^(١). وإن طالع الدولة العثمانية لطالع سعيد وستكون الدنيا بأسرها فى حوزتكم، ولكن لنا بشارة أخرى عظيمة لسلطاننا كذلك وقال «قولون» أنت يا مولاي أعظم السلاطين كافة، يسر الله لك الملك، بينما كنت أطوف فى الآفاق منذ مائة وأربعين عاما وبادره هذا يطوف منذ مائة وخمسة عشر عاما وطيلة هذا العمر المديد طوفنا فى العالم سبع مرات. وعبرنا من خارج مضيق «سبته» غربا سبعة آلاف ميل بفضل قوة العلم فاكشفنا ما يسمى «العالم الجديد»: وفيه ما لا وجود له فى عالمنا هذا، ففيه أنواع من الحيوانات والجبال والحدائق وأناس لا يعرفون الحشر ولا النش، والذهب فى كل أنهارهم والمعادن فى كل جبالهم وسهولهم مروج وجو بلادهم لطيف، إنها أرض بكر لم تطأها قدم يسر الله فتحها لسلطاننا. تلك هى البشرى التى أزعها إليك يا مولاي السلطان.

فقال السلطان با يزيد: لا بد لنا من فتح مكة والمدينة وإحكام سيطرتنا على هذا العالم وليس من اللازم أن نتجاوز البحر إلى تلك البلاد البعيدة.

وعندما قال السلطان هذا من كلامه ودعه الراهبان بتقبيل يده ثم انطلقا إلى البابا وأطلعاه على أوصاف الدنيا الجديدة فقدمت لهما أسبانيا اثنتى عشرة سفينة وبسطت سيطرتها على هذه الدنيا الجديدة، ثم ملكتها إنجلترا بعدها، ثم آل ملكها إلى ملك هولندا وللدنيا الجديدة الآن اثنى عشر ملكا ومنذ تاريخ «فتحنا» (أى عام ١٨٨٩) إلى

(١) اسم كان يطلق على روما قديما.

يومنا هذا أقيمت ففيها ٣٠٦٠ قلعة ويتناحر الملوك فيها من أجل الاستيلاء على معادنها حتى إننى بعد أن فتحنا «أويوار» وصلت بلاد الألمان برفقة السفير «محمد قره باشا» فى طريقنا إلى إمبراطور النمسا وصلنا مدينة تسمى «لونجاط» على شاطئ البحر المحيط، وكانت سفن الدنيا الجديدة ترسو على ذلك الشاطئ وفى كل منها ثلاثة آلاف رجل وكان بين من على ظهر هذه السفن أناس من الدنيا الجديدة قصار القامة يلبسون الريش فكلفت ترجمة النمسا بسؤالهم عن الدنيا الجديدة فما كان منهم إلا أنهم سبوا الراهبين «بادره» و «قولون» اللذين أفعما دنياهم الهادئة الآمنة بالطامعين فيها والذين يحاربونهم على الدوام لإبادتهم وقصف أعمارهم.

ومحصلة القول أن الراهبين بادره وقولون، بفضل العلم وتطوافهما فى الدنيا، بذلا الوسع فى الاطلاع على آلاف من كتب التاريخ وراجعا كتب الاطالس والهيئة وقضيا عمرهما فى السياحة والتطواف وكتبوا عما وقفا عليه من حقائق هيئة العالم.

ووصل هذان الراهبان إلى تلك البلاد التى لم يصل إليها كل من فليقوس وبطليموس فى الزمان القديم على شدة الحر والبرد وما يكتنفها من مهالك ومعاطب بعد أن ساجا فى الأرض مرات ومرات شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، وذكرنا أن مساحة العالم ٨٧٠٠٠ ميل كما ذكرنا أنهما لم يسبحا فى شواطئ البحر الأبيض ولا البحر الأسود بل أبجرا حول هذا العالم الجديد عبر المحيط.

وقد رسم ملاحو العالم كافة خرائطهم فى ضوء ما كتبه الراهبان بادره وقولون ويبحرون فى البحار معتمدين كل الاعتماد على هذه الخرائط، فقد اكتملت لهذين الراهبين آلاف التجارب ونجت السفن فى البحر المحيط بفضل ما كتبه ووصلا إلى جميع موانئ الدنيا وحملوا من أحجارها ومعادنها وكتبوا عن اعتدال جو تلك الموانئ كما كتبوا عن جبالها وأجوارها وأجوائها ومنبع كل نهر فيها. اتفق جميع علماء الهيئة رأيا على أن مساحة الدنيا القديمة ٨٧٠٠٠ ميل على نحو ما قال بادره وقولون، وكل ميل يساوى ٤٠٠٠ ذراع أسود، والذراع يساوى ٢٤ اصبعًا، وكل ميل يساوى ٤٠٠ قدم، والفرسخ يساوى ١٢ قدما (أى مسيرة) (١) ساعة).

(١) بياض بالأصل.

وقد قسم حكماء السلف وجه الأرض إلى سبعة أقاليم بعلم الاسطربلاب:

- الإقليم الأول:

يقع كذلك فى جزيرة مصر ويمتد إلى منبع النيل عند جبل القمر .
والإقليم - بعلم الاسطربلاب - عبارة عن خط يمتد من الشرق إلى الغرب فتكون جميع المدن الواقعة على هذا الخط لها نفس الأرض ونفس طول النهار .
وثمة إقليم آخر يقع على حدود بلاد الحبشة جنوب جزيرة مصر وهذا الإقليم الآن فى حوزة البرتغاليين ويسمى فى علم الهيئة «مدار الجدى» ويطلقون على نهاية الإقليم الثانى اسم «خط الاستواء» . هذا ما اصطلاح عليه العلماء .

أما عرض الإقليم الأول ١٢ درجة و ٤٠ دقيقة . ومن خط الاستواء جنوبا يتبقى جزء من العالم وهذا الإقليم بما أنه غير معمور لشدة الحر فيه لم يعده العلماء إقليما .
لأن هذه الجهات هى البحر المحيط وبه بعض الجزر . وعند بطليموس أنه وراء خط الاستواء بـ ١٦ درجة و ٢٥ دقيقة بعض البلدان المعمورة بالقرب من ولاية الزوج وأقاليم الحبشة ولكن فى الوقت الذى لا يطبق فيه الإنسان شدة حرها تكثر فيها الفيلة والقردة .

حتى إنه فى شهر يوليو من عام ٨٣ عندما كنت فى سياحتى بفونجستان وحرها جد شديد تجاوزت خط الاستواء جنوبا قاطعا المنازل طاويا المراحل طيلة سبعة وعشرين يوما فارتفعت ربع دائرة فوجدت بالحساب أن طول النهار (١) ساعة و ١٦ درجة و ٢١ دقيقة .

أما وسط الإقليم الأول فمن المتفق عليه أن عرضه ١٦ درجة و ٣٧ دقيقة ، وطول نهاره ١٣ ساعة .

- الإقليم الثانى:

يبدأ من خط عرض ٢٠ درجة و ٢٧ دقيقة وطول نهاره ١٣ ساعة و ١٥ دقيقة ،
ووسط هذا الإقليم خط عرض ٢٤ درجة و ٤٠ دقيقة وطول نهاره ١٣ ساعة .

(١) بياض بالأصل .

- الإقليم الثالث:

يبدأ من خط عرض ٢٧ درجة و ٣٠ دقيقة وطول نهاره ١٣ ساعة و ٣٥ دقيقة،
ووسطه من خط عرض ٣٢ درجة و ٣٧ دقيقة وطول نهاره ١٣ ساعة وربع.

- الإقليم الرابع:

يبدأ من الإسكندرية ورشيد ودمياط وجزيرة مصر تقع في الأقاليم الثلاثة.
ولنوضح أوصاف الأقاليم الأخرى على هذا النحو التقريبي:

أما بداية الإقليم الرابع فمن خط عرض ٣٠ درجة و ٤٠ دقيقة، وطول نهاره ١٣
ساعة، ووسطه عند خط عرض ٣٦ درجة و ٢٢ دقيقة، وطول نهاره ١٤ ساعة.

- الإقليم الخامس:

بدايته من خط عرض ٣٨ درجة و ١٥ دقيقة، وطول نهاره ١٥ ساعة، ووسطه من
خط عرض ١٤ درجة و ١٥ دقيقة وطول نهاره ١٥ ساعة ونصف.

- الإقليم السادس:

يبدأ من خط عرض ٤٣ درجة و ٢٢ دقيقة وطول نهاره ١٥ ساعة وربع، ووسطه من
خط عرض ٤٥ درجة و ١٢ دقيقة وطول نهاره ١٦ ساعة ونصف.

- الإقليم السابع:

يبدأ من خط عرض ٤٨ درجة و ٢٩ دقيقة وطول نهاره ٢١ ساعة ووسطه عند خط
عرض ٤٨ درجة و ٢٩ دقيقة وطول نهاره ١٢ ساعة وربع.

حتى إنه في عام ١٠٧٦ عندما خُلع «محمد كراي خان»^(١) وقرّ إلى داغستان رعيت
حق الخبز والملح ومضيت إلى إقليم ملك «قره بوداق»^(٢) وشاهدت أنهار طرخوى
وقوون واندرى وبلغت «دمير قابو»^(٣) ومن هناك ركبت السفينة ووصلت بسلام إلى
قلعة الترك في موسكو في ثلاثة أيام بلياليها في بحر الخزر، ثم سلمني بكوات
الشراكسة في «رهن» وقادة قلعة الترك في موسكو أوراكا، ثم توجهت إلى ملك موسكو
فمضيت شمالا على ساحل بحر الخزر طوال ستة أيام في ولاية «قازان» ومنها اتجهت

(١) أحد خانات القرم، أى: حكامها. (٢) موضع في آسيا الوسطى. (٣) الباب الحديد.

شمالاً إلى صحراء «القبحاق» وولاية «الأطر» على ساحل بحر الخزر، ثم تابعت السير شمالاً حتى اجتزت صحراء «هيهات» في واحد وعشرين يوماً فبلغت ولاية «هشذك» وهي بلاد عظيمة على ضفاف نهر «أدل» وهي تتبع موسكو وسكانها ٧٠٠ ألف من المسلمين لهم مساجدهم ومدارسهم ولكن ليس لجوامعهم مآذن وهم يؤدون الخراج لموسكو وقدره دينار ذهبي على كل شخص في العام. وجبت بلادهم في برد قارس طيلة سبعة أشهر وعبرت إلى الضفة الأخرى لنهر «أدل» فبلغت القلعة المسماة «يوانجسه» وطول النهار هناك إحدى وعشرون ساعة ونصف ساعة، ولم يكن سكان هذه القلعة يؤدون صلاة العشاء وكنت مثلهم وفيها علماء فضلاء، إلا أن لسانهم هو لسان موسكو وهم يتلون القرآن الكريم ويقرأون معانيه بالروسية وقد ترجموا كتاب «عماد الإسلام» إلى اللغة الروسية وترجم بعضهم جميع كتب الفرائض والفقه.

وجل الإقليم السابع يمتد في مملكة موسكو وبلاد فغفور^(١) وبولندا ودانصقة وقراقوجه وأسفج^(٢) تقع جميعها في الإقليم السابع. بيد أنه لشدة البرد في موسكو يقل العمران فيها وتشكل صحارى هيهات معظم مساحة موسكو، كما أن تثار القلموق خربوا الكثير من المناطق العامرة وعاثوا فيها فساداً.

وبينما كنت أتجول في المنطقة بين نهري «أدل» و «جالق» اكتشفت أنها تقع عند خط عرض ٣٦ درجة وطول نهارها ٢١ ساعة ونصف.

وعندما كنت أعد حساء الكرنب ظهرت الشمس في وسط الفلك ولم يكن لحرارتها تأثير فيها والحاجة في هذه المنطقة ماسة إلى ارتداء قروئين فهي أماكن قارصة البرد.

ومسلمو الهشذك ونصارى الموثق غاية في البلاء، ولا شجاعة لهم، ولا وجود قط للحداثق والبساتين في هذه البلاد، ولكن الحيوانات والطيور والمراعى كثيرة فيها، وأراضيها جد خصبة وقد تكلمت مع كثير من رحالة موسكو وقسيسيها وسألتهن عن بلادهم فقالوا:

(١) لعله يقصد الصين.

(٢) أسفج: السويد.

نحن من سكان جزيرة تسمى «وقولون» فى البحر المتجمد فى نهاية الإقليم السابع ومياه بحرنا تتجمد ستة أشهر فى السنة ولا تطلع الشمس طيلة ستة أشهر فبلادنا مظلمة وليلنا ساعتان ونهارنا ٢٢ ساعة.

فسألتهم عن المسافة بين بلادهم ونهر «أدل» فقالوا: لقد خرجنا من بلادنا منذ أربعة أشهر ووصلنا لتونا.

وهم بالفعل وصلوا لتوهم ومعهم من سن السمك وفرو السمور ووجوههم قد تمزقت من شدة البرد. ولمسكو وراء الإقليم السابع أرض معصورة كما هو الشأن وراء خط الاستواء.

وقد ذكر القرطبى فى كتابه «المسالك» أن:

الإقليم الأول: يمتد من سواحل بلاد الصين على وجه التقريب إلى داخل الحبشة حتى جزيرة «لوكة»، وينتهى بجزيرة العرب واليمن وساحل المغرب وأشهر مدنه هى عمان وحضرموت وصنعاء اليمن.

- الإقليم الثانى:

يمتد من الجانب المذكور إلى بلاد اليمن والهند ثم يمتد إلى بحر الحسا والبصرة وتهامة وجزيرة العرب واليمامة وبحر هجرين والحجاز ومكة والطائف والمدينة والبحر الأحمر ثم إلى بلاد المغرب وبحر المغرب.

- الإقليم الثالث:

يمتد فى بلاد الصين والهند وقندهار وبلاد السند من الشمال ويمر من كابل وكرمان وچيرون وسجستان وسواحل قصره ثم يقطع مدينة اصطخر وسابور ومهربان وشيراز وسبقيز ونور وأهواز والعراق وواسط والكوفة وبغداد وانباز وهيت ثم دمشق وحماة وحمص وسور عكا والرملة وساو وطبرية وغزة وبيت المقدس وعسقلان والمدائن والقلزم سلمية ثم إلى أسافل أرض مصر ثم يمر بالفرما وتنيش ودمياط ورشيد والإسكندرية والفسطاط والفيوم وبلاد رقية ويجتاز أرض إفريقيا ويستهى عند بحر

المغرب. أما بلاد طرابلس وتونس والجزائر وطنجة وفاس والأندلس وقرطبة ومراكش تقع في الإقليم الثالث.

- الإقليم الرابع:

يمر من بلاد السند وخراسان وسمرقند وبلخ وبخارى وهيران وأصفهان وسرخس وطوس وزابلستان ونيسابور ونهاوند وديلور وحلوان ونصيبين والموصل وخجند وقرغان وقالى وقلا والرقه وتبرجك ثم يمر بعد ذلك بدمشق فملاطيا وحلب وقيصرية وأنطاكية وطرابلس الشام وطرسوس وأدنه وعمورية وسلفكه وجزيرة قبرص وجزيرة كريت وجزيرة كورسيكا وجزيرة مسنه والبرتغال.

وفي أقصى الغرب أسبانيا وجنوز وفرنسا تقع في الإقليم الرابع. وعلى بعد ٧٠٠٠ ميل من سواحل فرنسا تقع الدنيا الجديدة إلا أن العلماء لا يعدونها إقليمًا.

- الإقليم الخامس:

يبدأ من بلاد ياجوج ويمر بالصين والختا والختن وبعض مدن بلاد خراسان ويمر بخرشبه كما يمر بوسط الأناضول ومن قرمان إلى أداليا ومنها إلى البحر الأبيض ويمر برأس قلاوره والبندقية ودور دوشقة وينتهي ببحر الألمان وقبالتها الدنيا الجديدة على بعد ٧٠٠٠ ميل.

- الإقليم السادس:

يمر ببلاد ترجانه دون الوصول إلى بحر الخزر وطبرستان وينتهي ببحر المغرب ونهاية هذا الإقليم هو القسطنطينية وأواخر بلاد الإفرنج.

وقال حكماء السلف:

إن اسطنبول تقع في الإقليم السادس. إلا أنها تقع في أواخر الإقليم الخامس لأن القسطنطينية تقع عند خط عرض ٤٠ درجة.

والحقيقة الظاهرة ظهور الشمس أن طول نهارها ١٥ ساعة.

- الإقليم السابع:

يمتد من الجانب الشرقي وينتهى فى الشمال عند سد «ياجوج» فى بلاد الترك والصقالبة وموسكو وهولندا ودوقانقيز والدغارك وألمانيا ولونجاط، وعلى بعد (١)^(١) ميل قبالتها تقع جزيرة الإنجليز، كما تقع قبالتها الدنيا الجديدة على بعد ٧٠٠٠ ميل.

- ذكر الأقاليم السبعة على نحو آخر -

- الإقليم الأول:

به ٢٠ جبلا، و ٣٠ نهرا عظيما، وسكانه سود البشرة أما أهل السودان فهم بيض البشرة وهذا الإقليم كذلك يمتد فى جزيرة مصر.

- الإقليم الثانى:

به ٢٧ جبلا و ٢٧ نهرا عظيما، وسكان هذا الإقليم كذلك سمر البشرة وطائفة منهم دميعة وجوهم، ويمتد هذا الإقليم كذلك بمصر على ضفاف النيل.

- الإقليم الثالث:

به ٣٣ جبلا و ٢٢ نهرا عظيما. وجميع الأنهار التى تجري فى جزيرة مصر تنشعب عن النيل ويمر هذا الإقليم كذلك بجزيرة مصر وهى جزيرة متراجبة الأرجاء لها نصيب فى هذه الأقاليم الثلاثة ويحكمها سبعون ملكا ومساحتها ١٨٠٠٠ ميل وينبع النيل من داخل هذه الجزيرة ويصب فى البحر الأبيض شمال مصر عند مينائى دمياط ورشيد، ومن منبعه إلى مصبه مسيرة ثمانية أشهر، ولا وجود لنهر يجرى مثل هذه المسافة الطويلة.

- الإقليم الرابع:

به ٢٥ جبلا و ٢٢ نهرا وجميع سكانه بيض البشرة.

- الإقليم الخامس:

به ٣٠ جبلا، ١٥ نهرا عظيما وجميع سكانه بيض الوجوه.

(١) بياض فى الأصل.

الإقليم السادس:

به ١١ جبلا و ٤٠ نهرا، أطول هذه الأنهار نهر «الطونة» ومساحة منبعه ١١٠ مرحلة، وينبع هذا النهر من ألمانيا ويصب فيه ٧٠٠ نهر، وله خمسة فروع تصب في البحر الأسود منها فرع عند مضيق «كلى» وآخر عند مضيق «طولجه» وآخر عند مضيق «سلونه» وآخر عند سفح التلال الخمسة والأخير عند مضيق «قره خرمن».

وتبحر السفن الشراعية في هذا النهر حتى يودابست وبراغ وألمانيا. إنه نهر عظيم وحما لله فقد تأتى لى أن أطوف خمس مرات على ضفافه من المنبع ببلاد الألمان حتى المصب في البحر الأسود.

- الإقليم السابع:

به ١٠ من شوامخ الجبال أعظمها «جبال البرز» على مقربة من داغستان ولا وجود لجبل مرتفع كهذا في الربع المسكون من العالم، ولم يصعد إلى قمته مخلوق من البشر وفيها غيلان وضوار ويستوطن جوانبه الأربعة خمسة سلاطين. إنه جبل عظيم إلى هذا الحد البعيد. وبهذا الإقليم ٤٠ نهرا منها على سبيل المثال نهر «قوبان» العظيم الذى ينبع من جبال البرز ويخترق داغستان وبلاد الشركس والجهة القبلية من صحراء «هيهات» فى بلاد الشركس ويصب في البحر الأسود أسفل قلعة «نمر» فى الجزيرة المسماة «طمان» وكذلك عند مضيقى «خون» و «يلشكة» وتجرى فيه بوارج عملاقة.

وهناك فى هذا الإقليم كذلك نهر الترك الذى ينبع من الجبل نفسه ويخترق ولاية داغستان ويصب فى بحر الخزر أى بحر كيلان أسفل قلعة الترك بموسكو على مقربة من «دمير قبو» فى الشمال. إنه نهر ماؤه عذب فرات وسكان هذا الإقليم حمر البشرة، شجعان.

والإقليم السابع به ١٠ جبال و ٤٠ نهرا، أطولها نهر «أدل» العظيم. إن ماء ماء الحياة وعرضه ٤٠ ميلا ويبلغ فى بعض الجهات ٦٧ ميلا، وعمقه ٣٤ باعا وجميع سكان هذا الإقليم بيض البشرة.

وليعلم إخوان الصفاء أنى قضيت فى الترحال إحدى وأربعين سنة ورأيت بأم عيني أن أطول الأنهار هو نهر «إدل» يليه فى الطول نهر «جايق» ثم نهر الطونة ثم نهر شط العرب ثم نهر النيل المبارك فى مصر الذى يصبح كأنه البحر فى شهر يوليو من كل عام بيد أنه فى بقية أوقات السنة يكون فى حجم نهر «دياله» القريب من «بغداد» أما نهر «إدل» هذا هناك العديد من الترع تتفرع منه وتجرى بجانبه.

وفى ضوء علم الهيئة وطبقا لما دونه الرحالة وعلى حد قول العالم الجليل «بطليموس» إن على وجه الأرض ٢٠٠ نهر عظيم و ٤٤٠٠٠ نبعاً جارياً.

ويروى العوفى عن ابن عباس قوله: إن على وجه الأرض أنهاراً تتفاوت طولاً بعدد ما فى جسم الإنسان من شرايين، ولو لم تجر هذه الأنهار على وجه الأرض لتمزقت الدنيا قطعاً قطعاً، وما كان فى الإمكان أن يسكنها مخلوق. وهذا هو الحق فقد قال عز من قائل ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ {الأنبياء: ٣٠}.

ويقول ابن إسحاق: على وجه الأرض ١٤٨ جبلاً علاوة على مئات من الجبال الأخرى ولكن ما يعنينا منها شوامخها، والتى قال الله فى شأنها فى كتابة العزيز ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ {الشورى: ١٢} ومقاليده فى اللغة العربية بمعنى أقفال وإذا لم تشابك الجبال وتحكم الأرض وكأنها الأقفال لما كان لوجه الأرض من قرار.

وصف الأقاليم السبعة من منظور آخر

الإقليم الأول:

طوله من الشرق إلى الغرب ١٢٥٠ فرسخاً، وعرضه ١٩٠ ويضم هذا الإقليم ١٠٠٠ مدينة، ٥٠ منها من كبريات المدن تقع معظمها فى أقاليم الزنوج ومنها الحبشة واليمن وصنعاء وبحرانة وطغار وحرش وجزيرة سرنديب والهند وميناء الصين ومدينة فارس ومراكش فى المغرب والسودان والفونج وبورنو.

الإقليم الثانى:

يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب ٢٤٠٠ فرسخ وعرضه ١٣٦، وبه ٢٧ جبلاً من شوامخ الجبال و ٣٦ وادياً، و ٢٠٠٠ مدينة ٥٠ منها مدن عظيمة ويمتد من خجند

والهند والسند، والمنصورية والحيرة وكِنْدَة والجزائر ونجد ويثرب إلى الحجاز والبحر الأحمر وأرض البربر وأفريقيا وأرض مصر وأرض بغلبه^(١).

- الإقليم الثالث:

طوله ٢٩٢٥ فرسخا وعرضه ٩٠ فرسخاً، وبه ٣٠٠ مدينة منها ٢٠٠ من كبريات المدن ويبدأ من شمال الصين حيث موغان وقندهار ويضم كابل وزابلستان وسيستان وكرمان وفارس وسواحل بحر عمان والبصرة والإحساء واصطخر وشيراز ونيسابور والأهواز والعراق وبغداد والشام وفرجين والإسكندرية ومرقان وفرنسا وينتهي في البكرية.

- الإقليم الرابع:

يلغ طوله ٢٧٠٠ فرسخ وعرضه ١٠٢ فرسخ وفيه ٢٥ جبلاً، و٣٢ واديا وعدد مدنه ()^(٢) مدينة ويمتد هذا الإقليم من التبت وخراسان وبلخ وبخارى ويضم ملتان وطبرستان والديلم وقزوين والرى وقم وكاشان وأصفهان وهمدان وحُلوان وشهرزور والموصل ونصيبين وحلب وأنطاكية وطرسوس وعمورية وجزيرتي قبرص وكريت ومدينة البندقية وينتهي بألمانيا.

- الإقليم الخامس:

يلغ فى الطول ٢٥٥٠ فرسخا وفى العرض ١٠٢ فرسخ، ويضم ١٠٤٠ مدينة، ٧٠٠ منها موانئ، وفيه ٢٥ جبلا و ٣٣ واديا، والمدن الواقعة فى جانبه الشرقى هى كوره وكانج وكاس وخوازم والتبت وأرمينيا وبخارى وسمرقند وخجند وطشقند وكولقند ودقند وسنجا وقرمان وانطاليا وفى الجانب الغربى من بحر الروم النمسا وبها مدن بودين واستورغون وسيدوار واستونلى بلغراد وپاپا وقومران وبانيق وسنمارتين وبشتهل وبراغ ولونجايط وأمستردام. وفى الجانب المقابل تقع جزيرة الإنجليز ووراءها بمسافة قدرها ٧٠٠٠ ميل تقع الدنيا الجديدة.

(١) لعلها: بعلبك.

(٢) بياض بالأصل.

الإقليم السادس:

يمتد من الشرق إلى الغرب بمسافة طولها ٢٣٨٠ فرسخا وعرضه ٩٠ فرسخا به ٣٠ واديا و ١٠٧٠ مدينة، سبعمائة من هذه المدن مرافئ. ويمتد هذا الإقليم من سد «يأجوج ومأجوج» وشمال خراسان وجزء من خوارزم ونواحي أذربيجان وأرمينيا والأخلاق والرمية الكبرى وينتهي بالاندلس.

- الإقليم السابع:

يمتد من المشرق إلى المغرب بمسافة قدرها ٢٢٠٠ فرسخ وعرضه ١٤٠ فرسخا، وفيه ١٠٠٠ مدينة، جلها كان يقع في ولاية «فغفور»، ويضم هذا الإقليم مدن قزاق ومغول وبوغول وموسكو وصحراء القبجاق والقرم وقزاق له، وجه، ودانسقه والسويد وهولندا. وفي الجانب المقابل تقع جزيرة الإنجليز وهي جزيرة عظيمة تمتد أراضيها في الإقليمين السادس والسابع، ومساحتها ٨٠٠٠ ميل وحاضرة ملوكها مدينة «لندن» وقد زارها والدى الدرويش «محمد ظللى» في عهد السلطان أحمد أما أنا فما زرتها.

ولقد تأتى لى بلوغ مرفأ «لونغاط» العظيم الذى يقع قبالتها ولم يتيسر لى العبور إليها اللهم يسر بالخير.

أما جزيرة مصر فأكبر من جزيرة الإنكليز. إنها جزيرة متراجبة الأطراف تبلغ مساحتها ١٨٠٠٠ ميل، ولم يخلق الرحمن جزيرة مثلها على وجه الأرض، وفيها خمسة عشر ملكا لهم سكة وخطبة وسبعون أميرا وبها ١٠٧٠ مدينة، ٧٠ منها مرافئ عظيمة.

وتضم السودان دنقلا ب وفاس ومراكش وقرطبة وطنجة والجزائر وتونس وطرابلس والإسكندرية ورشيد ودمياط والقاهرة المحروسة، وجزيرة مصر هذه أعظم جزر الدنيا عمرانا عمرها الله.

- حاضرة ملك مصر:

وحاضرة مصر تقع وسط الإقليم الثالث عند خط عرض ٢٧ و - ٣ دقيقة، وطول نهارها ١٤ ساعة ١٣ درجة و ٤٥ دقيقة وهي بلد حار.

ولأنها بنيت وقت طلوع المريخ في برجها لا تنقطع فيها الفتن والحروب. إلا أن طالعتها غاية في قوتها والنصر حليفها على الدوام.

سر إلهي في مصر

ثمة سرٌ إلهي في مصر هو إذا ما كانت هناك حادثة غير متوقعة على وجه الأرض شاع خبرها على السنة الناس في مصر، وبعد خمسة أيام أو أكثر تقع هذه الحادثة التي كثر فيها القيل والقال.

فعلى سبيل المثال سرت شائعة ذات يوم مؤداها أنه قد تم فتح «قمانجسه» وبعد أربعين يوما جاء أحد أغوات الوزير عام ١٠٨ من قمانجسه حاملا بشري النصر وتحقق ما قاله الناس في هذا الشأن.

وفي شهر ()^(١) من عام ()^(٢) شاع بين الناس أن الوزير قد مات وبعد اثنين وعشرين يوما ورد نعى الوزير الأعظم «كوپرلى أوغلو».

واتفق ذات يوم أن ظهر درويش من أهل الله وجعل يطوف صائحا: «وقع الباشا وقع الباشا» وبعد أسبوع أسقطوا أحمد باشا الدفتردار.

وهذا بفضل تأثير نجم ()^(٣) على مصر مما جعل كل حادثة تذكر قبل وقوعها بأربعين يوما على وجه الأرض، وهذا أثر ذلك النجم كما أنه من تأثير من في مصر من دراويش ومجاذيب وأمناء ونقباء موكلون بمصر.

وبين سكان القرافات الكبرى الاثنى عشرة الواقعة في جوانب القاهرة الأربعة دفن مئات الآلاف من كبار أولياء الله، وكثير من أبناء الأنبياء، وربما الأنبياء ومئات الآلاف - غيرهم من أعظم المشايخ من صلحاء الأمة، وبفضل من روحانياتهم فإن كل ما يقع على وجه الأرض يصبح حديث أهل مصر قبل وقوعه بأربعين يوما.
